سياحة حديثة في الصعيد

للبحث عن الآثار المسيحية القديمة

للاب ميشال جوليان اليسوعي

١

لا يجهل من لهُ المام بتاريخ نسّاك القرن الرابع للمسيح ان مفاوز الصعيد اضحت عامرة زاهية بعد ان نشر فيها بولا الناسك وانطونيوس الكبير لواء الزهد والتعبد. فتقاطر المسيحيون من كل فجّ وأوب الى تلك الأقفار وعمروا فيها اديرةً اشبه بقرى واسعة او مدن زاهرة انقطعوا فيها الى خدمة الله. وكان عددهم لا يزال ينمو مع الايام حتى انَّ الدير الواحد كان يشتمل على ٤٠٠٠ راهب او اكثر فخيف من انَّ حواضر مصر تُصبح قفرًا بعد هذه المهاجرة العجيبة

على انَّ بين هؤلاء رجال الله قد امتاز راهب اطرأ في ذكرهِ قدماء المؤرخين على اختلاف بلدانهم ولغاتهم ألا وهو الانبا يوحنّا المصري ذكرهُ كاسيان (في مباحثاته ١: ٢١ و ٢٩) وسُلپيس ساويرس (المحاورة ١ ف ١٣) وپالاديوس (في تاريخهِ ف ١٤٣) والقديس اوغسطينوس (في كتاب مدينة الله ك ٥ ف ٢٦) وروفينوس (في تاريخ الرهبان ك ٢ ف ١) وتاودوريطس (ك ٥ ف ٢٤) والمؤرخ سوزومان (ك ٦ ف ٢٨). وقد دعاهُ هؤلاء الكتبة وغيرهم باسماء مختلفة فمنهم من يدعوهُ يوحنا الصغير وبعضهم يسمّيهِ يوحنا السيوطي ويوحنّا المصري ويوحنا المطيع. وقد اثبت البولنديون في اعمال القديس (٢٧ آذار و ١٧ تشرين ١) انَّ هذه الاسماء انما تدل على مسمًّى واحد

وقد ابقى يوحنا المصري آثارًا لا تزال تنطق عن فضائله منها شجرة من اللبعة (styrax) تُرى اليوم في برية نطرون وارقة الافنان عند مدخل دير قديم استولى عليه الخراب يدعوها رهبان القبط راهل بادية الصعيد شجرة الطاعة. وقد جاء خبرها في تاريخ سلبيس ساويرس قال: انَّ رئيس هذا الدير لمَّا اتاهُ يوحنا المصري لينتظم في سلك رهبانه اخذ عصاتهُ وكانت من اللبعة فغرسها في الارض وامر الطالب الجديد ان يسقيها كأنها نصبةٌ حيَّةٌ الى ان تزهر وكان الرئيس يريد بذلك اختبار طاعة تلميذه. فامتثل يوحنا امرهُ بسذاجة عجيبة وداوم على ذلك ثلاث سنوات دون ان يتردَّد في العمل حتى اظهر الله فضل عبده فاخضرَّت العصاة ونبت فيها ورق ثم اكتست بالزهور. وقد شهد بهذه المعجزة قوم من الأعلام الأثبات ممن عاينوا الامر وتحققوا صحَّتهُ. وقد رحلنا نحن ايضًا قبل بضع من السنين لتفقُّد هذه الشجرة وكتبنا مقالة عمَّا سمعناهُ وشاهدناهُ (١)

على انَّ للانبا يوحنا المصري آثارًا غير هذه طلبناها في جوار اسيوط. لانَّ تاريخهُ يفيدنا عنهُ انهُ بعد زمن قضاه في ادیرة النطرون انتقل الى القفر المجاور لاسيوط ليصرف فيهِ حياتهُ بالعيشة النسكيَّة والزهد التام منفردًا عن البشر. فوجد على مسافة ميلين منها مغارة صعبة المرتقى منقورة في الصخر فدخلها وتحصَّن فيها دون ان يفتح بابها لاحد الَّا ليلاديوس المورخ الذي سطَّر ترجمة حياتهِ (في الفصول ٤٣—٤٦ من تاريخهِ). ودخل يوحنا هذا الكهف سنة ٣٤٦ ولهُ من العمر ٤٢ سنة وعاش فيها منقطعًا الى الله سنة ٣٩٤

فهذه المغارة المباركة التي قدَّسها رجل الله بممارسة جميع الفضائل مدة ٤٨ سنة تستحق اكرام المؤمنين ولا ريب ان المسيحيين لو عرفوها لهجُّوا اليها وتبركوا بزيارتها. على ان صروف الزمان ونوائب الدهر توالت على هذه البلاد فاخفت على تلك الآثار الجليلة وجعلتها نسيًا منسيًّا لا يعرف بوجودها احد. ولمَّا راجعنا ما كتبهُ دليل «بديكر» في هذا الصدد وجدنا ما فتَّ في عضدنا وكاد يقطع املنا من اكتشاف هذه المغارة فانهُ يؤكِّد انهُ لا سبيل لمعرفة مقام القديس يوحنا المصري وان مغارتهُ كنخاريب الجبل العديدة لا تمتاز عنها في شيء.

(١) راجع كتابنا المدعو «مصر» ص ٤٨. واعلم ان سلبيس ساويروس لم يذكر اسم الراهب الذي جرت على يدهِ هذه المعجزة غير ان كاسيان صرَّح باسمهِ وان كانت روايتهُ مختلفة

وكذلك لم نجد بين اهل اسيوط احدًا يرشدنا الى ضالّتنا فانَّ سكّان هـذه البلدة غائصون في امور عالمهم لا همّ لهم بمثل هذه المباحث. والكاثوليك منهم قليلو العدد لا يتجاوزون الاربعمائة تراهم ضائعين بين ٤٥,٠٠٠ نفس ممن يقطنون البلد ولم يخطر على بالهم ذكر الانبا يوحنا ليتفقدوا آثاره

بيد اننـا مع ذلك لم نيأس من اكتشاف منزل القديس فاخذنا نراجع التواريخ القديمة لعلّنا نقف فيها على الاعلامات الكافية لتحديد المكان والاطلاع عليه. فجمعنا من ذلك ما جمعنـا لاسيما من تاريخ پلاديوس الذي زار قدّيسنا في حياته ووصف مسكنه

ثمّ اخبرتُ عن قصدي اخوة المدارس المسيحية الذي كنت نازلًا عندهم في اسيوط فاحبوا ان يرافقوني ويبحثوا معي عن منسك ولي الله

واول ما تحققناهُ انَّ كهف يوحنا المصري لم يكن كهفًا طبيعيًا لان هذه الكهوف الطبيعيّة تحفرها المياه الجارية وهنا لا اثر للماء. فبقي ان نبحث على كهوف نقرها الناس في ام الصخرة. غير انَّ مثل هذه المغاور عديدة جدًا في جوار اسيوط منهـا في الجبل المطل عليها يراها المسافر من بعيد على ثلاثة صفوف مستقيمة. ومنها في الآكام التي تنتصب جنوبيّ المدينة وغربيها. ومنهـا اخيرًا في اعالي الصخور التي تضغط مياه نهر النيل على مسافة ساعتين من المدينة

وان سأل سائل عن اصل هـذه الأغوار وهل نقرها سيّاحُ الصعيد في الصخر ليسكنوها. اجبنا انما كانت هذه المغاور في ايّام الفراعنة مقالع اتخذ منها ملوك مصر حجارتهم لمبانيهم العظيمة. ثمّ جعلها بعدهم اهل المدن مدافن لموتاهم ونقشوا عليهـا النقوش والكتابات الهيروغليفية. ولمّا ضاءت انوار النصرانيّة في مصر وكثر عدد النسّاك كنت ترى الحبساء ينقطعون الى الله في هذه المغاور فيجعلون فيها سكناهم. ولنا على ذلك شواهد لا تُنقَض وهي الصلبان التي تزيّنها والكتابات المسيحيّة المخطوطة على جدرانها كالادعية والصلوات وآيات الاسفار المقدسة

هذا ولم نحاول التفتيش عن مقام الانبـا يوحنا المصري في جبل اسيوط المشرف عليها لان هذا المكان قريب من المدينة لا يوافق ما دوّنهُ پلاديوس المؤرخ عن وعورة المكان وتعيين مسافته

امَّا المقاور الواقعة عند جهات الاكام التي في جنوب المدينة وفي غربها فانها تطابق قول المؤرخ بلاديوس من حيث المسافة اذ هي تبعد عن اسيوط نحو ساعتين. ولكنها لا تنطبق عليه من حيث صعوبة المرتقى ووعورة المسلك وهي اشبه بالمدافن منها بكهوف لسكنى العبَّاد. وما لا ريب فيه ان فوق هذه الرُّبى الجنوبية آثارًا عديدة للنصرانيَّة من ابنية ومدافن. وقد وجد فيها المهندس الفرنسوي دوبوا ايمي (Dubois-Aymé) احد علماء بعثة نابوليون الاول (١ توابيت من خشب الجميز فيها جُثث غير محنَّطة وجُمع كونها اجسام السياح الذين تنسَّكوا في هذه الاماكن مع النصارى الذين احبوا ان يُدفنوا هناك بجوار مناسك الرهبان. وكانت هذه الاجسام سالمةً لم يعمل فيها الفساد. ومما يزيد زعم المهندس المذكور آثار دير قديم يدعوهُ الاهلون « دير العظم » اشارة الى القبور التي اتخذها المسيحيون في هذا المكان. امَّا المقاور المنقورة في الصخر فهي نادرة في هذا المحل

٢

فلم يبقَ لنا سوى الصخور المُمتدة التي على جانبي نهر النيل. فعمدنا اولًا على زيارة الضفة الشرقيَّة لكثرة ما في صخورها من المقاور وآثار الاديرة القديمة. فخرجنا باكرًا من اسيوط ومشينا عند سفح الجبل في طريق سهلة افضت بنا بعد ثلاثة ارباع الساعة الى قرية أدْرنكا فاجتزنا في وسط مقبرة النصارى وتأثرنا من حسن هندامها وسُرورنا لاكرام الاهلين لموتاهم. ومما أعجبنا مدافن مقبَّبة بيضاء شيَّدها الموسرون من الاقباط لذويهم. امَّا بقيَّة القبور فهي محدَّبة مطلية بالكلس في رأس كل منها خمس اجرَّات على هيئة صليب. وللكاثوليك في هذه المقبرة مكان خاص يُحدق به حائط يصونهُ وترى بين قبورهم صليبًا كبيرًا يفيء بظلهِ الراقدين بالرب فجئنا هناك وصلينا عند قبرَيْ مرسلَيْن من الرهبانيَّة الفرنسيسيَّة التي حافظت وحدها مدَّة قرون مديدة على كنز الايمان في هذه البلاد جازاها الله الف خير

ثم اخذنا نتوغَّل الجبل بين الصخور. فكان اول كهفٍ تفقَّدناهُ مدفنًا كبيرًا في منعطف الجبل تُبر فيهِ في سالف الزمان احد القراعنة. وهذا الكهف منقور في الصخر

(١ راجع كتاب Description de l'Egypte, T, XV, p. 203, 2e ed.

واسع الارجاء. كانهُ الحجرة الرحبة وعلى جانبيهِ غرفتان صغيرتان وهناك جرن كجرن العماد الذي يستعملهُ الاقباط. ولا مراء انَّ بعض السياح سكن هـذا المدفن فصار من بعدهِ معبدًا

ثم واصلنا سيرنا بين تلك الصخور فوصلنا بعد ربع ساعة الى قرية حقيرة تُدعى دير أذرنكا يسكنها الآن نحو ٣٠ عائلة قبطيَّة من صعاليك القوم واسم الضيعـة يدلُّ على انها كانت سابقًا ديرًا للرهبان. ولها اليوم كنيستان الواحدة منقورة في الصخر والاخرى في سفح الجبـل على اسم العذراء. وليس لدير أذرنكا الآن كاهن يقوم بامورها الروحيَّة

وجنوبيَّ المدينة مقالع قديمة العهد متَّسعة الارجاء. يبلغ طول بعضها ميلًا ومئة متر فدخلناها لعلَّنا نجد فيها آثارًا مسيحية. فلم يُجدنا البحث نفعًا الَّا ان هذا المكان مطلّ على السهل تُرى منهُ اسيوط ومبانيها ومآذنها مع ما يحدق بها من خضرة المزارع والجبال الجاورة لها ونهر النيل الجاري قريبًا منها. فاثلج هذا المنظر صدورنا واقرَّ عيوننا وانعش قوانا فنزلنا من هذه الآكام وجرينا مسرعين في السهل الى ان لاحت لنا بعد ساعة قرعةٌ أخرى مع آثار مائلة من دير قديم اصبح اليوم ضيعـةً صغرى فوجب قلبُنا لهذا المنظر وشعرنا اننا اوشكنا على ادراك المرغوب. لانَّ موقع هذا الدير ومسافتهُ من اسيوط وصعوبة مرتقاهُ تطابق ايَّ مطابقة ما كتبهُ بلاديوس عن مغارة الانبا يوحنا المصري

فرقينا في شِعْب من الجبل وعر المسلك افضى بنا الى درج منقور في الصخر متقن العمل وجدنا في اعلاهُ اهل القرية قد اجتمعوا مع راعيهم لاستقبالنا. فرحّبوا بنا واكرموا مثوانا واعلمونا ان اسم الضيعة دير ريفة. ثم رافقونا في زيارة كنيستهم وما يكتنف بها من الآثار القديمة. وما استلفت نظرنا في بادئ الامر باب القرية فلحظنا ان عتبتهُ العليا صفيحة قديمةٌ من الرخام عليها نقوشٌ جميلة من الطرز البوزنطي وعلى اطرافها آيات من الكتاب المقدس بالقبطيَّة. ووراء هذا الباب معبرٌ معوجٌ على شبه الكوع ذكَّرنا بمداخل الحصون والقلاع الحزيزة. فلمَّا اجتزناهُ وصلنا الى ساحة الدير القديمة ثم صعدنا منها الى سطح شُيّدت الكنيسة بازائهِ

وكان في وسط السطح مقرأةٌ عليها كتاب ضخم مجلَّد برقّ الغزال وهو مكتوب بالقبطيَّة وكان خطهُ جميلًا قديم العهـد وعلى حواشيهِ نقوشٌ مذهبة وتصاوير بالوان

ناصعة فلم نشك انهُ من عمل قدماء الرهبان. وقد جُعلت المقرأة على السطح ليجتمع حولها اهل القرية ويصلّوا مع كاهنهم صلوات جمعة الآلام. وهذه الصلوات طويلة جدًّا عند الاقباط اليعاقبة فآثروا ان يصلّوها على السطح لان كنيستهم مظلمةٌ لا يجري فيها الهواء.

اما الكنيسة فلم نجد فيها شيئًا يستحق الذكر الّا ان فرق عتبتها نقوشًا تمثل اشخاصًا من الشجر مع صور حيوانات شتى. وداخلها منقود في الصخر الصلد يتركّب من عدّة غرف جُمع بينها على هيئة الكنائس القبطيّة الحالية وانما كانت في سالف الزمان مجبزة لدفن الموتى. وامام القدس مشبك (شرّيّة) جميل من الخشب صغير التقاطيع لهُ بابان مرصّعان بالعاج قد كُتب بهِ على باب الشمال: «اننا نسجد لك ايها المسيح الهنا» وعلى باب اليمين: «السلام لهيكل الله ابينا»

ولمّا انتهينا من زيارة هذه الكنيسة التي لم نستفد منها ذكرًا للقديس يوحنا المصري سألنا اهل القرية أيعرفون غير هذه الكنيسة؟ فأرونا قريبًا من هناك صخرًا كبيرًا مقطوعًا قطعًا عموديًّا وفي وسط الصخر مداخل واسعة تُفضي الى معبدٍ دعوهُ المعبد الروماني فهرعنا اليهِ يتنازعنا عاملا الخوف والرجاء. واجتزنا في كوخٍ لعجوز استغربت مرورنا في دارها حتى بلغنا الغار. فاذا بمداخلهِ الثلاثة مزدانة بكتاباتٍ مصريّة قديمة ولها رواق يظلّلها. والمداخل متسعة تفصلها سوارٍ مثمّنة الزوايا. امّا الكهف فبالغ الاتساع طولهُ نحو ٢٥ مترًا في عرض ١٠ امتار وعلوّ ٦ امتار. والردهة الوسطى منهُ تُقسم الى ثلاثة اقسام اولها رواق طولهُ خمسة امتار ثم حُجرتان طول كل واحدة منهما عشرة امتار. والرواق منفصل عن الحُجرة الوسطى بسوارٍ ضخمة. امّا الحجرتان فبينهما حائط من الصخرة والرواق اعلى من الحُجرتين بنحو متر ونصف. وسقف الغار سويّ عليهِ نقوشٌ بتقاطيع هندسيّة تشبه اجمل ما وجدنا من ذلك في هياكل المصريين الاقدمين. غير ان سقف هذا المكان مسودٌّ بالسناج. وقد ميّزنا بين نقوشهِ عددًا وافرًا من النجوم الزرقاء الخمسة الاطراف (١). وفي الردهة الكبرى في نصف قسمها الشمالي

(١) راجع خواصّ هذا النجم وسناهُ في كتاب وصف مصر Jomard : *Description de l'Egypte*, VII, 419.

معبد قديم بُني بالحجارة وهذا المعبد متّجه الى الشرق على مثال المعابد القبطيّة القديمة. وهو المعبد الذي دعاهُ اهل القرية بالمعبد الروماني

وسألنا هؤلاء القرويين أبلغ سمعهم اسم الانبا يوحنا وهل يعرفون لهُ اثرًا في هذا المكان فكان جوابهم انكاريًا. وغاية ما يعلمون من امر هذا المقام وأغوارهِ ومعبدهِ انهُ محلٌ مقدّس اكرمهُ اجدادهم وعظّموهُ الى عهدهم

على انَّ جهل هؤلاء القوم لم يُلقِنا في الريب عن صحّة ما اكتشفنا لاننا وجدنا انَّ هذا الغار اشبه شيء بما وصفهُ بلاديوس حيث قال عن منزل القديس يوحنا انهُ يتركّب من رواق وحجرتين. وذلك يوافق تمامًا ما نراهُ هنا. وكذلك اخبر بلاديوس ان رجل الله كان ابتنى حائطًا يفصل الرواق عن مَنسكهِ الداخلي. وكان لا يفتح نافذة هذا الحائط لزوارهِ الّا يومي السبت والاحد. وآثار الحائط المذكور باقيــة حتى الآن. امّا السواري التي عنــد المدخل فيُرى عليها صلبان منقوشة غير متقنة النقش رسم صورتها الزوّار الاقدمون

امّا قول القرويين انَّ المعبد الذي في داخل الغار يُعرف بالمعبد الروماني فترجّح انهُ دُعي بذلك لكثرة ما كان يتردّد على الانبا يوحنا من اعيان الرومان ليتبرّكوا بادعيتهِ ويطلبوا مشورتهُ. وممّا اشتهر بهِ الانبا يوحنا روح النبوة فانهُ كان يخبر الولاة الرومانيين بما يتهدّد الدولة من الاخطار. وروى القــديس ارغــطينوس (في كتابهِ عن الموتى ف ١٢) والسنكســار الروماني (في تاريخ ٢٧ اذار) انهُ سبق وبشّر تاودوسيوس الكبير بانتصارهِ على مكسيم واوجان الطاغيتين

واخبر بلاديوس انهُ لمّا زار القديس وجد عنــدهُ الوالي الروماني أليبيوس فاضطرَّ الى ان ينتظر زمنًا طويلًا قبــل ان ينتهيا من حديثهما فضجر بلاديوس لذلك وامتعض في باطنــهِ فعرف يوحنا خفيّ افكارهِ فارسل اليهِ ترجمانهُ تاودورس يقول لهُ: «ما لك تتبرّم ضجرًا ألا تعلم قول الرب انَّ الــسقماء هم المحتاجون الى طبيب لا الاصحاء؟ هذا رجلٌ اتى اليَّ وهو في غاية الحاجة الى نصائحي وليس لهُ سوى وقت قصير ليفكّر في امر خلاصهِ. امّا انت فانك طول دهرك لا تفتكر بغير الخلاص»

وبعد ان فحصنا هذا الغار وتفقدنا كل زواياه خرجنا وقلبنا طافح بالفرح لما وجدنا هنا من آثار احد مشاهير اولياء الله. ولمّا عدنا الى الضيعة حفّ حولنا اهلها فرحين وكانوا

يريدون ان يدخلوا في منازلهم التي اكثرها مدافن قديمة اصلحوها لسكناهم. ومن غريب ما شاهدنا ان صخور هذه القرية وجدران منازلها كلها مغطاة بطين تزج سمكهُ قدمٌ ونصف كلهُ مركب من اوكار الزنابير فهذا الملاط الاسود يكدّر منظر الضيعة ويجعل بينها وبين بياض الجبل تبايناً عظيماً. ولعلَّ كثرة الزنابير التي في انحاء الصعيد هي التي حملت قدماء المصريين الى ان يتخذوا النحلة او الزنبور كشعار لمصر العليا كما انهم اختاروا البردي للدلالة على مصر السفلى

وبعد هذه الزيارة أتوا لنا الوداع اهل دير دينة بعد ان فرّقنا عليهم صابوناً صغيرة سُرّوا بها سروراً هم بانفس الهدايا ولم يطالبنا احد منهم بالبخشيش كما هي العادة في هذه البلاد

٣

وكان اهل دير دينة اعلمونا انَّ على مسافة ساعة من قريتهم من جهة الجنوب عند الطرف السهل ديراً آخر. فنوينا زيارتهُ لرغبتنا في الآثار النصرانيَّة

واحبَّ رجلٌ من دير دينة ان يرافقنا ليدلَّنا على الدير المذكور. ففي اثناء مسيرنا اردنا نقداً من النقود التي لا يزال اهل البادية والسودان والحبش يستعملونها حتى يومنا ويؤثرونها على سواها. وهذا النقد على اسم مريم تريزا ملكة النمسا وهو التلاري (Talari) وثمنهُ كالمجيدي. وكنت منذ زمن طويل اطلب نقداً من هذا الصنف فسرَّني وجودهُ وابتعتهُ بثمن خمسة فرنكات بنيف عن ثمنهِ المعهود. وهذا النقد يمثل في احد وجهيهِ صورة العذراء مريم حاملةً فوق ذراعيها طفلها الالهي وهو يمسك بيدهِ كرة العالم وفي يد البتول اليسنى صولجان الملك وفي دائرة النقد قد كُتب ما تعريبهُ: « مريم ام الله شفيعة هنغاريا سنة ١٧٥٢ ». اما الوجه الآخر ففيهِ صورة مريم تريزا الملكة. وهذا التلاري يُضرب حتى عهدنا هذا في مصر

الريال المستعمل في السودان

وبلاد أخرى لمعاملة الأعراب واهل السودان والحبشيين

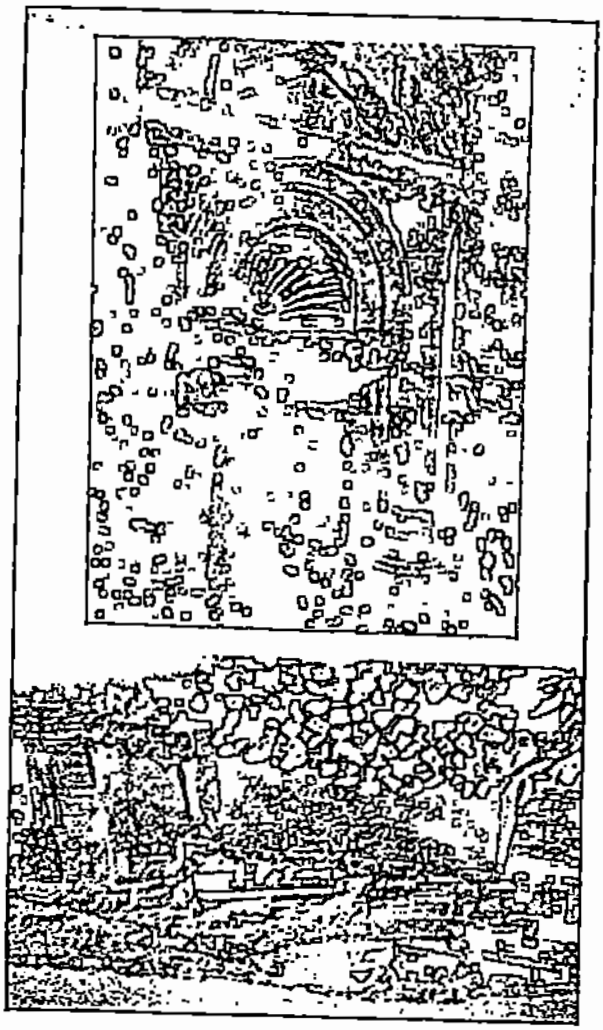

١ حنية كنيسة الدير الاحمر قرب سوهاج مع كراها ذات المثلثات الثلاثة
٢ مدخل عمارة الانبا يرحنا المصري في دير ريفة

١٠٦٤

وما عتمنا بعد ساعة ان وصلنا الى الدير الذي دُلِلْنا عليهِ على طرف المزارع في الرمل ولهذا الدير سور مرتفع مربع الشكل مكعمد اللون لما يعلوهُ من الملاط الاسود الموصوف آنفاً. وليس لهُ سوى باب ضيق يُدخل منهُ الى داخلهِ. فما طرقنا هذا الباب حتى اسرع اهلهُ وفتحوهُ واستقبلونا بكل لطف وانس. واسم هـذا الدير حالياً دير الزاوية وليس فيهِ رهبان وانما احتلَّهُ قوم من الأقباط اليعاقبة فجعلوا سكناهم في دارهِ الواسعة وقد ابتنوا لكل عائلة بيتاً ونظَّموا البيوت وفصلوها عن بعضها بالازقة على شكل القرى العامرة. وكنيستهم هي كنيسة الدير القديمة يجتمعون فيها للصلاة بيد انهُ لا راعي لهم ولذلك سرُّوا بنا ايَّ سرور واخذوا يتوسَّلون الينا لنبقى عندهم كاهناً منَّا يرشدهم في سُبل الفضيلة والدين. حقَّق الله رغبة هذا القطيع المهجور بارسالهِ اليهم كاهناً كاثوليكياً يضمُّهم الى حظيرة الرب

وكنيسة هذه القرية غاية في الحسن تضيئنا منها العجب. وهي كنيسة كبيرة ذات ثلاثة اسواق على مثال الكنائس الغربية لها اعمدة ضخمة مبنية بالآجرّ الاسود مع خطوط بيض تجمع بينها وفوق الاعمدة قُبب لطيفة. وحنيَّة هذه الكنيسة بديعة النقش لها طنف ناتئ وصفَّان من الكوى مزدانة بعمد صغرى في اعلاها ثلاثة مثلَّثات اشارة الى سرّ الثالوث الاقدس. وكنا لحظنا مثل هذا في الدير الاحمر قرب سوهاج وكنيستهُ من اقدم الكنائس المصريَّة. هـذا وان كرور الاجيال توالى على كنيسة دير الزاوية فطمس قسماً من محاسنها واخرب جانباً من مبانيها. اما تاريخ الدير فلم يُفدنا عنهُ احد علماً. وقد دُعي الدير في عهدنا بدير الزاوية لموقع قرية قريبة منهُ تُعرَف بالزاوية. واذا لحظنا الكنيسة وهندستها ونقوشها وجدنا انها تُشبه كل الشبه كنيستي الديرين الشهيرَين الدير الاحمر والدير الابيض بجوار سوهاج فتكون من عهدهما. ومما لا ريب فيهِ انها سبقت تاريخ الهجرة

ولمَّا انتهينا من سياحتنا هذه راجعنا ما رواهُ مشاهير كتبة العرب في ادبرة النصارى القديمة لعلنا نجد ذكر الاديرة الثلاثة التي زرناها. فتصفَّحنا خطط المقريزي وتاريخ الشيخ ابي صالح الارمني وكتاب الانتصار لواسطة عقد الامصار لابن دقاق فلم نجد في هذه التآليف ما يشفي الغليل. ولا غرو فان العرب لمَّا فتحوا بلاد مصر استنكفوا من اسمائها الاعجميَّة التي لا توافق لغتهم فابدلوها بما هو اقرب للسانهم

ومما يفيدنا ابو صالح الارمني (ص ١١٤) انَّ على مقربة من اسيوط ديرًا اسمهُ « ابو يحنس ويعرف بابشاي ». فاسم يحنس كيوحنَّا ولا يبعد انهُ أراد بهِ دير ريفة الذي وجدنا فيهِ محبسة الانبا يوحنَّا المصري. وذكر المؤلف نفسهُ ديرًا آخر بجوار اسيوط دعاهُ دير « بابسويا » قال ان موقعهُ بين ريفة وبين قرية اخرى سقط اسمها من نسخة كتابهِ. وعلى ظنّنا ان هذا الدير هو دير الزاوية الذي تنقَّدناهُ. وكذلك كتب ابو صالح عن دير آخر قرب اسيوط ما نصُّهُ: "دير على اسم السيدة العذراء الطاهرة مرتريم ويُعرف بدير ابو (كذا) الحارث". فنرى انَّ الدير المذكور هو دير ادرنكا الحالي وقد قلنا ان بقربهِ كنيسة على اسم العذراء الطاهرة

هذا ما حصلنا عليهِ من امر هذه الاديرة. ونتمنى ان العلماء يواصلون البحث في جهات اسيوط عن الآثار المسيحية وهي كثيرة في تلك الجهات. وكفانا شاهدًا على ذلك انَّ ياقوت الحموي روى في معجم البلدان (١ : ٢٧٢) عن بعض اهل اسيوط في زمانهِ انَّ في هذه المدينة وحدها ٧٥ كنيسة للنصارى

ابو العلاء المعرّي

للشيخ الفاضل اللغوي سعيد افندي الشرتوني

قد كان هذا الشاعر الفيلسوف القادم الدنيا في القرن الرابع للهجرة الراحل عنها في القرن الخامس (١ المضروب بهِ المثل في قوة الحافظة كثيف النظر ملازمًا منزلهُ مكفيًا همَّ الارتزاق مولعًا بالادب يطيل النظر في الاديان وأُصولها واغراضها واحوال القائمين عليها وسير رؤسائها فيتولَّاهُ الشك او الكفر تارةً ويراجعهُ اليقين أُخرى فتصدر عنهُ في كل حال من حاليهِ ابيات تمثّلهُ شاكًا او كافرًا وأُخرى تمثّلهُ مؤمنًا. غير ان الناس اقتصروا من شعرهِ في الدين على ما ينبئ عن مروقهِ او كفرهِ كابيات رواها ابو الفداء الحموي في تاريخهِ (٢ وقضى عليهِ بالكفر بسببها ولم اسمع من احد في

١) كانت ولادة ابي العلاء سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣م) وتوفي سنة ٤٤٩ (١٠٥٧)

٢) راجع تاريخهُ المطبوع في الاستانة (الجزء الثاني ص١٨٥)